(جماليات الإيقاع الداخلي في شعر المديح عند ابن سيد اللص الإشبيلي)

د. محمد حسانين إمام حسانين الضلع(*)

ملخص البحث:

لقد جاء البحث بعنوان (جماليات الإيقاع الداخلي في شعر المديح عند ابن سيد اللص الإشبيلي) هذا الشاعر الأندلسي المغمور الذي طبع لأول مرة عام ٢٠٢١م، وليست له اي دراسات سابقة إلى الكتاب الذي جمع فيه شعر الشاعر، وقد جاء هذا البحث متضمنًا جماليات المديح من خلال تمهيد، ومباحث أربعة، توقف فيها الباحث مع جماليات الإيقاع لكل من (التصريع، الطباق، رد العجز على الصدور، الجناس اللغوي الاشتقاقي والبلاغي)، والملاحظ أن صرع الشاعر في غير المطالع أيضًا؛ فالتصريع داخل القصيدة وسيلة لدفع الملل واليأس عن المتلقي ليزيل عنه الملل والرتابة. وقد استخدمه الشاعر ليبين به صفة الجود والكرم والعطاء، كما صدر البيت الشاعر برد العجز على الصدور ليجعل خلق الممدوح بصفة معنوية (قلبية) في صدر البيت، ووسمه بشيء حسي مسموع في عجز البيت؛ فقلب الممدوح وكلامه طيبان. كما تكررت كلمة حاتم نهاية الصدر والعجز؛ فهي حلقة الوصل بين طرفي بيت الشعر المدحي؛ فكلمة (حاتم) التي صارت مثلًا يضرب في الكرم، هذا إلى جانب المقابلة الموضوعية بين (الشمس، الخلافة) ليؤكد أن الخلافة تجمعت في شخص ممدوحه، فلا نظير لخلافته ولا مثي، فاتخذ من توظيف القرآن التناص القرآني ليطلب الشاعر العفو والقرب من ممدوحه في صورة طباق، وأخيرًا؛ فإن الجناس البلاغي قد أبان عن جماليات شعر المديح ببيان سعة الملك والجود؛ وذلك من خلال التباين الجهوي.

الكلمات المفتاحية: ابن سيد اللص، المديح المكاني، الطباق المعنوي، الجناس الاشتقاقي

Abstract:

The research was titled (The Aesthetics of Internal Rhythm in the Poetry of Praise of Ibn Sayed the Seville Thief). Preface, and four topics, in which the researcher paused with the aesthetics of rhythm for each of (salaf, counterpoint, response to the inability to breasts, etymological etymology and rhetoric It is noticeable that the poet's epilepsy is also not in reading; The struggle within the poem is a way to ward off boredom and despair from the recipient, to remove boredom and monotony from him. The poet used it to show the quality of generosity, generosity, and benevolence, just as the poet's verse issued a

(*) مدرس بقسم الدراسات الأدبية والنقدية . دار علوم المنيا mohamvip2018@gmail.com

response to the impotence on the breasts to make the character of the praiseworthy in a moral (heart) capacity in the forefront of the verse, and marked it with something sensual and audible in the impotence of the verse. The heart of Al-Mamdouh and his speech are good. Hatim's word "the end of the chest and impotence" was also repeated; It is the link between the two ends of the verse of laudatory poetry. The word (Hatem), which has become a proverb in generosity, this is in addition to the objective contrast between (the sun, the caliphate) to confirm that the caliphate gathered in a praised person, so there is no equal to his caliphate So he took the use of the Qur'an intertextuality to ask the poet for forgiveness and closeness to his praise in the form of counterpoint, and finally the rhetorical anaphora played its role in the poet's praise poetry in the regional contrast.

Keywords: Ibn Sayed Thief, Seville, Aesthetics, Internal Rhythm, Praise.

تمهيد:

لقد عرفت بلاد الأندلس بالعلماء في العلوم كافة؛ ولهذا، برز كثير من الأدباء في تلك الفترة أكثر من غيرها من الأعصر السابقة؛ فعرفت بلاد الأندلس بكثير من الشعراء البارزين أمثال ابن خفاجة وابن زيدون وغيرهما، إلى جانب وجود شعراء مقلين مغمورين، من بينهم ابن سيد اللص الإشبيليّ الأندلسي . عينة الدراسة . أحد الشعراء الأندلسيين المغمورين؛ إذ لم يتناوله أحد بدراسة شعره قبل ذلك؛ فشعره جُمع مؤخرًا عام ٢٠٢١م، ويعد البحث الذي بصدده الباحث أول دراسة تطبيقية مستقلة حول شعر هذا الشاعر.

عن الشاعر:

لقد لقّب الشاعر بـ (ابن اللص)، واسمه" أحمد بن علي بن محمد بن عبد الملك بن سليمان بن سيد الكنانيّ الإشبيليّ أبو العباس"[١]، ولد "سنة اثنتين أو ثلاث وخمسمائة"[٢]. وقد اختلفت آراء الأدباء والنقاد في سبب تلقيبه بهذا، فمنهم من أرجع هذا اللقب إلى سماته الشخصية؛ فيقول ابن دِحية عنه:" وكان شيخنا يلقب باللص لدياثته وسكونه، وتردده خفية في جميع شؤونه؛ وكان لا ينكر هذا اللقب مع جاهه عند سلطان زمانه"[٣]، وقيل إنّ سبب تلقيبه بهذا هو كثرة سرقته لأشعار

[١] . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، حققه / محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ /١٩٦٥م: ١/ ٣٤٤، ٣٤٥ .

[٢] . التكملة لكتاب الصلة: محمد بن عبد الله ابن الأبار، القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨هـ)، حققه/ عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة . لبنان: ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م، ١/ ٧٢، ٧٣ .

[٣] . المطرب من أشعار أهل المغرب: أبو الخطاب عمر بن حسن الشهير بابن دحية الكلبي (ت: ٦٣٣هـ) بتحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، الدكتور حامد عبد المجيد، الدكتور أحمد أحمد بدوي، راجعه د/ طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ١٣٧٤ هـ . ١٩٥٥ م٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢ .

غيره، كما نقل الصفدي والسيوطي؛ إذ قالا: "فهو المعروف باللص؛ لكثرة سرقته أشعار الناس؛ بإغارته على الأشعار في حداثته؛ فمن أعجب ما وقع له في السرقة أن واليًا قدم إشبيلية، فانتدب أدباءها لمدحه، قال(ابن اللصّ): فطمعت تلك الليلة أن يسمح خاطري بشيء، فلم يسمح فنظرت في معلقاتي، فإذا قصيدة لأبي العباس الأعمى مكتوب عليها: " لم ينشد " فأدغمت فيه اسم الوالي، فلما أصبحنا وأنشد الناس، أنشدت تلك القصيدة؛ فقام شخص وأخرج القصيدة من كُمِّه؛ وقد صنع فيها ما صنعت، ووقع له ما وقع؛ فضحك الوالي من ذلك، وكثر العجب من التوارد على السرقة[٤]"، وقد رجح (د.الساجت) ما ذهب إليه ابن دحية خاصة أنه لم يكن يتحرج منه"[٥]، ولكن ليس هذا مبررًا؛ فشهادة المرء في نفسه مجروحة، إلى جانب أن من ذكروه بالسرقة أكثر ممن أرجعوا اللقب إلى الخفة والدياثة.

وأما عن حياته العلمية والثقافية، فقد تبحر في علوم العربية على اختلاف مجالاتها؛ فقد "كان مقرئا محدثا متحققا بعلوم اللسان نحوا ولغة وأدبا، ذاكرا للتواريخ، حسن المجالسة، شاعرا مفلقا، أقرأ اللغة والعربية والأدب طويلا"[٦]، وأما عن شيوخه وتلاميذه؛ فقد تخرج على يد علماء أكابر، في اللغة والأدب والقراءات؛ فقد "روى عن شريح وأبي بحر الأسدي، وعنه الشلوبين"[٧]، وبذلك صار ابن اللص عالمًا فذًّا وأديبًا بارعًا؛ فقد "أقرأ العربية والآداب واللغات وكان قائما عليها متحققا بصناعتها شاعرا مع ذلك مفلقا وشعره مدون"[٨]، مما دفع العلماء إلى الثناء عليه والشهادة له بملكته البلاغية والأدبية في نظم الشعر؛ إذ "كان من أهل البلاغة والشعر، والتقدم في النظم والنثر"[٩]، وشعره المجموع الذي هو مدونة الدراسة، برز فيه شعر المدح في المرتبة الأولى عند الشاعر أكثر من غيره؛" فما يقرب من ثلثي شعره أو أكثر كان في غرض المديح"[١٠]؛ وذلك لاختلاطه بطبقات متنوعة من المجتمع الأندلسي، ومن ثَمَّ وقع اختيار الباحث على المدح في شعر الشاعر.

---

[٤] . الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، حققه / أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث . بيروت، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م٧ / ١٤٣، وكذلك: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/ ٣٤٤، ٣٤٥.

[٥] . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: د. محمود شاكر الساجت، دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م، ص: ٢٣.

[٦] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/ ٣٤٤، ٣٤٥ .

[٧] . المصدر السابق: ١/ ٣٤٤، ٣٤٥ .

[٨] . التكملة لكتاب الصلة: ١/ ٧٢، ٧٣ .

[٩] . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/ ٣٤٤، ٣٤٥ .

١٠ . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٣٨ .

ولهذا خلف من يحمل العلم عنه؛ فقد" أقرأ اللغة والعربية والأدب طويلا"[١١]، ومن هؤلاء التلاميذ الذين أخذوا عن ابن اللص "مفرج بن حسين بن إبراهيم بن خلف الأنصاري الكفيف من أهل إشبيلية يكنى أبا الخليل؛ فقد روى عن جماعة منهم أبو العباس اللص"[١٢]، هذا إلى جانب (الغافقي) تلميذ ابن اللص الإشبيلي، واسمه "عيسى بن محمد بن شعيب الغافقي، قرموني استوطن مدينة فاس، أبو موسى الأشل . لشلل كان بيده اليمنى . روى عن أبي العباس ابن سيد اللص"١٣.

وبعد هذه الرحلة التي قضاها ابن اللص الإشبيلي في التعلم والتعليم، ينفرط عقد الحياة، بقصة وفاة الشاعر العجيبة! وذلك حينما" كان يستصحب معه كِسرة خبز لا يفارقها، ويقول: إنه قيل لي في النوم: لا تموت إلا عطشان، قال: فأنا أخاف من ذلك؛ فإذا أصابني العطشُ دفعتها إلى سقَّاء، فسقاني، فاتُّفِقَ أنه مات وحيدًا في منزله؛ ولا يبعد أن يكون مات عطشًا"[١٤]، وذلك "سنة سبع وسبعين وخمس مائة"[١٥].

عينة الدراسة:

سيتخذ الباحث من كتاب (شعر ابن سيد اللص الإشبيلي) إعداد: د. محمود شاكر الساجت، دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م؛ فقد جمع فيه المؤلف شعر الشاعر من مصادره.

أسباب اختيار الموضوع:

١- عدم وجود دراسات سابقة ابن اللص إلا الكتاب المجموع.
٢- التوقف عند أهم غرض شعري للشاعر (المديح)؛ فقد احتل المرتبة الأولى من شعره.
٣- إظهار جماليات الإيقاع الداخلي بربطه بباطن البنية(العميقة).
٤- التوقف عند مظاهر المديح وخصائصه عند ابن اللص.

المنهج المتبع في البحث:

سيتخذ الباحث (المنهج الفني) منهجًا رئيسًا لكشف جماليات الإيقاع الداخلي للمديح عند ابن اللص الإشبيلي؛ فالجماليات دراسة فنية بحتة.

---

١١ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/ ٣٤٤، ٣٤٥ .

١٢ . التكملة لكتاب الصلة: ٢/٢٠٠ .

١٣ . الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله محمد ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت: ٧٠٣ هـ) حققة وعلق عليه: د/ إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي . تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ م: ٤٢٢/٣ .

١٤ . التكملة لكتاب الصلة: ١/ ٧٢، ٧٣ .

١٥ . الوافي بالوفيات: ٧ / ١٤٣.

الدراسات السابقة:

يعد هذا الشاعر من الشعراء المغمورين؛ فلم يجد الباحث أي دراسة عنه إلا مرجع(مجموع شعره)، الذي هو مصدر دراسة شعر الشاعر.

خطة البحث:

سيضمن البحث تمهيدًا، ومباحث أربعة، يتوقف فيها الباحث مع جماليات الإيقاع لكل من (التصريع، الطباق، رد العجز على الصدور، الجناس اللغوي الاشتقاقي والبلاغي)، ثم يختتم البحث بأهم النتائج، فقائمة المصادر والمراجع.

ثانيًا ـ الجانب التطبيقي:

المبحث الأول ـ جماليات إيقاعية المديح المُصرَّع:

للتصريع فائدةٌ تخص معرفة الجنس الأدبي بتمييزه عن غيره؛ إذ إن" سبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشعر"[١٦]، فحينما يقرأ المتلقي أو يسمع السامع أول بيت في مطلع القصيدة، فإنه يعرف أن الجنس الأدبي (شعر) لا غيره، ولهذا كان التصريع وسيلة انتباه وتهيئة للمتلقي/ القارئ للإنصات إلى القصيدة من أولها أو المضي في قراءتها، من خلال أول بيت فيها؛ ولذلك فإنّ" التصريع يحسن في أول القصيدة ليميز بين الابتداء وغيره، ويفهم قبل تمام البيت روى القصيدة وقافيته"[١٧]، وتكمن أهيمة التصريع في كشفه عن القافية للقصيدة؛ "فالتصريع معناه فى الشعر أن يكون عجز النصف من البيت الأول من القصيدة مؤذن بقافيتها، فمتى عرفت تصريعها، عرفت قافيتها"١٨، ومن ثَمَّ، سيتوقف الباحث عند أهم النماذج المدحية المصرعة، في المطالع وغيرها، وذلك فيما يأتي:

أولًا ـ جماليات إيقاعية المطالع المدحية المُصَرَّعة:

من نماذج المديح المصرعة في مطالع القصائد، قول ابن سيد اللّصّ في أبي يعقوب:

صَـــــعِّدْ بفكـــــرِك أو صـــــوِّبِ مـــا دونَ أمـــرِ اللهِ مِـــنْ مُترقَّـــبِ"[١٩]

---

١٦ . العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي(ت: ٤٦٣ هـ) حققه / محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ. ١٩٨١ م: ١/ ١٧٤.

١٧ . سر الفصاحة: تأليف / أبي محمد عبد الله ابن سنان الخفاجي الحلبي (ت: ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م،ص: ١٨٩ .

١٨ . الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة الحسيني العلويّ (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية . بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ: ٣/ ١٩ .

١٩ . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي : ٦٣.

بدأ ابن سيد اللصّ بيته بالتصريع بين طرفي البيت، صدره وعجزه بكلمتي (صوب، مترقب) بحرف الباء الذي يتصف بالشدة والقوة؛ فالشاعر يمهد من أول بيت ما سيمدح به أميره أبا يعقوب بن عبد المؤمن، فيرسم في ذهن المتلقي والسامع له صورة ممدوحه بالقوة والشجاعة بما تكشف عن دلالة حرف التصريع (الباء)، هذا إلى جانب ما يؤكده من إيمان بالقضاء والقدر دون تدخل للإنسان بفهم أو تدخل أو إرادة. وفي هذا بيان معية الله للأمير، من انتصار وقوة بأس وحسن توفيق؛ فمهما فكر الأعداء في النيل من أميره، فالله الموفق للأمير.

ومن التصريع في المطالع أيضًا، قول ابن سيد اللص:

السعدُ يقْدُم والعزائمُ تصْدُقُ والنصرُ بينهما يخبُّ ويعْنقُ

وأمامها مَلِكٌ أغَرٌّ يَحفُّه جيشٌ تغصُّ به البلادُ وتُشْرِقُ"[٢٠]

صرع الشاعر مطلع القصيدة في البيت الأول منهما في هذين البيتين؛ فهو يمدح أميره متفائلًا، بما لأميره من بهاء طَلّة، وهيبة طلعة في قوته وانتصاره ونصره، وذلك في صورة مجازية تشخيصية، مبالغًا في المدح، بجعل السعد والنصر في حلة إنسان من ناحية الاحتياج والهرولة والقُدُوم.

وقد صرّع الشاعر البيت عند كلمتي(تصدق، يعنق) وبذلك؛ وفق في صدر البيت وعجزه/ فدليل الكلمة المصرعة في الشطر الأول (تصدق) ومدى تحققها يظهر في عجز البيت بالكلمة المصرعة وهي قافية البيت(يعنق)، وهذا يؤكد صدقه؛ فكل الناس يودون أن يتقربون منه، مسرعين إلى مجالسه؛ فالنصر حليفه والعزيمة خلقه، وهذا صِدقٌ متحقِّق لكلّ من يريد نصرًا، كما أنّ كلمة (يصدق) تدل على أنّ الصدق صفة شخصية ثابتة راسخة في الممدوح (الأمير)؛ فلولا الصدق المحاط بالأمير من حاشيته وأصحاب الرأي المُلْتفّين حوله، وكأنّهم في صورة (معانقة) حينما تحقق نصره.

[٢٠] . المرجع السابق: ٧٩.

إضافة إلى أنّ الانتصار على الأعداء أسهل ما يكون؛ فالنّصر هو الذي يهرول ويبادر إلى الممدوح ليحوز الرفعة والمكانة، حينما يكون حليف الخليفة، وفي هذا المجاز مبالغة، وإلا فطبيعي أن يكون هذا المدح في المطالع بمثابة تفاؤل وثقة في الممدوح، ببيان خصالة بالمبالغة؛ ليتهيأ المتلقي لمكانته وسلطانه ونفوذه. هذا إلى جانب أن حرف (القاف) في الكلمتين المصرعتين حرف (مجهور شديد) وهذا يتناسب وطبيعة العزم والنصر، فكلاهما يحتاجان إلى قوة وعتاد وعدة مع عزيمة وثبات، وبهذا يتحقق النصر وتتحقق السيطرة والنفوذ على الأعداء.

ولذلك يؤكد الشاعر معاني البيت الأول في البيت الثاني؛ فمُلْك ممدوحه اتسع سلطانه وامتد إلى أنحاء البلاد كلها، حتى إن تعداد جيش ممدوحه قد ملأ البلاد من كثرة عدد جنود جيشه، فما من بلد إلا وله فيها نفوذ وسلطة فرضها على من حوله، وفي هذا مبالغة إن قصد الشاعر أن ممدوحه قد بسط نفوذه على جميع ملوك عصره، اللهم إلا أن يقصد البقعة التي تحت قبضة يده، فهذا أمر طبيعيّ، ولكن المبالغة هنا تتناسب وطبيعة المطالع المدحية التي يود الشاعر منها إدهاش المستمع والقارئ ليفاجأه الشاعر بما يثري فكره ويلفت انتباهه ويشنّف آذانه.

ثانيًا . جماليات إيقاعية المديح المُصرَّع داخل القصائد:

إنّ مما يعد جمالًا وبراعة عند الشاعر في مدحه، أنه لم يورد التصريع في المطالع فحسب! وإنما أورده الشاعر في أثناء القصائد كذلك؛ فكما أن لتصريع المطالع قيمةً جماليةً إيقاعية، فإنه تتحقق أيضًا أثناء القصائد؛ فيصير التصريع داخل القصيدة وسيلة لدفع الملل واليأس عن المتلقي ليزيل عنه الملل والرتابة ويستثير انتباهه ليكمل القصيدة إلى نهايتها، كما أنّ مجيئ التصريع في غير المطالع دلالة على قوة الشاعر وفصاحته ونبوغه؛ ولذلك فإنّ " من استعمله ممن تقدم أو تأخر فإنه دال على سعته فى فصاحته، واقتدار منه فى بلاغته، وهو إنما يحسن إذا كان قليلا فى القصيدة بحيث يكون جاريا مجرى الطراز للثوب، والغرة فى وجه الفرس"[٢١]، ولذلك استحسنه القدماء في غير المطالع؛ " فالتصريع في أثناء القصائد والإصمات في أوائلها يستحسن من القدماء؛ لأنّه من العرب يدل على قوة العارضة وغِزَر المادة، وعدم الكلفة، وتخلية الطبع على

[٢١] . الطراز للعلوي: ٣/ ١٩ .

سجيته "[٢٢]، ومن ثَمَّ، سيتوقف الباحث عند بعض النماذج المصرعة أثناء القصيدة في شعر المدح عند ابن سيد اللص الإشبيلي ليبرز الباحث تلك الجماليّات، فيما يلي:

من النماذج المدحية التي صرعها الشاعر أثناء القصيدة في المدح، قوله في ...حينما مدحه بصفة (الجود):

ومـــا أفنَـــى الســـؤالُ لكـــمْ نَـــوالًا ولكـــــن جـــــودكم أفنـــــى السُّـــــؤالَا"[٢٣]

في هذا البيت يبين الشاعر صفة الجود والكرم والعطاء لممدوحه بالتصريع بكلمتي (نوالا، السُّؤالا) التي تنتهي بحرف (اللام) الرخو الذي يدل على الامتداد والسعة؛ فالصوت يمتد به ولا يتقطع، وكأنَّ عطاء الأمير/ الملك مسمتر لا ينقطع عن السائلين، كما أنّ حرف (اللام) فيها إشارة إلى طول مدة العطاء، فلم تكن مرة أو مرتين، وإنما مرات مستمرة، كأنَّها أيام أو شهور، إضافة إلى أنّ حرف (اللام) يدل على العزة والشموخ؛ فالممدوح يعطي عطاء يكفي مددًا طوالًا؛ فالأمير معطاء لا حدود لعطائه، إلى جانب أنّ كثرة السائلين مهما طلبوا فلن يفني ثرواته، ما يدل على غناه وثرائه، وبهذا، فإنّ التصريع وسيلة إثارة للذهن وتنبيه للفكر وتنبيهًا للمتلقي بصفة ما؛ "فربما صرع الشاعر في غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة، أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر، فيأتي حينئذ بالتصريع إخبارًا بذلك وتنبيهًا عليه "[٢٤]، ومن ثَمَّ، فإن الشاعر اتخذ من تصريعه وسيلة لتاكيد صفة الجود التي عمت الجميع وتنبيهًا للمتلقي إلى سعة كرم الأميره وأياديه التي عمت الجميع؛ فلا سائل يحتاج إلى عطاء، فقد أعطى كلّ السّائلين ما يحتاجونه، فصارت رعيته لا تحتاج إلى أحد غير أميرها لطلب أعطيات؛ فأميرهم كافيهم بجوده وكرمه، وبهذا يصير الأمير في دولة رفه وثراء وعطاء ورخاء اقتصادي، فالكلُّ أصبح مكفيًا مَرْضِيًّا من أعطيات أميره.

٢٢ ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: لأبي الإصبع المصري: تحقيق: د/ حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م: ٣٠٧.

٢٣ ـ شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٩١.

٢٤ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/ ١٧٤ .

المبحث الثاني . جماليات المديح ورد الأعجاز على الصدور: (مديح دائري تكاملي)"[٢٥]

يعد رد العجز مما يثير انتباه المتلقي ويشحذ ذهنه في اكتشاف دلالته التكرارية للألفاظ بين الصدر والعجز، ولذلك كان "لردّ الأعجاز على الصدور موقعًا جليلًا من البلاغة، وله فى المنظوم خاصة مَحِلًّا خَطِيرًا"[٢٦]، فألحق بالتكرار اللفظي رغم أنه أدخل في باب المعاني؛ إذ إن رد العجز هو "أن أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في آخر البيت، واللفظ الأخير في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثاني "[٢٧]، وستوقف الباحث مع نماذج متنوعة **من خلال ما يأتي:**

١ . المديح ومجيء الكلمة في حشو الصدر أقرب إلى بدايته، والكلمة الأخرى نهاية العجز، كالآتي:

—— ( ) —— ——————( )

يـا طيّبَهـا مَغْنًـى وطِيـبَ حَـدِيثِها والـنَّفَسُ يَلْهَـجُ بالحـديث الطَّيِّـبِ

فأتـتْ علـى شِـيَعِ الضَّـلالِ كمـا أتَـى ضَـوءُ الصَّـباحِ علـى سَـوَادِ الغَيْهَـبِ"[٢٨]

وهذا يتضح من قول الشاعر حينما مدح أميره، بقوله:

في هذين البيتين يمدح الشاعر . ابن سيد اللص الإشبيلي . أميره، في صورة رد العجز على الصدر بمدح الجوانب المعنوية؛ مبينًا جمال قلبه وطيب كلامه؛ فبدأ الشاعر البيت بالنداء، وكأن جمال ممدوحه في قمة عالية يود الشاعر لقاءه، فينادية، أو ليستثير الشاعر انتباه المتلقي لصفات ممدوحه، فكأن الشاعر ينطق لسان مدحه، قائلًا: (يا لجمال طيب قلبه!) أو (يا لجمال قلب الأمير وطباعه!).

---

[٢٥] . رد العجز على الصدور في المديح: يعبر في دلالته عن اعتزاز الشاعر بممدوحه؛ فهو يمدحه في البيت الواحد عودًا على بدء، فيصير المدح دائرة مدح، طرفاها مديح، مما يؤكد مكانة الممدوح ومنزلته فيما مدحه الشاعر به.

[٢٦] . الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) حققه: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية . بيروت، ١٤١٩ هـ، ص: ٣٨٥ .

[٢٧] . دُرَرُ الفَرائِدِ المِسْتَحْسَنَة في شرحِ مَنْظومةِ ابنِ الشِّحْنةِ (في علوم المعاني والبيان والبديع): ابن عَبْدِ الحَقِّ العُمَرِيّ الطَّرَابُلُسِيّ (ت: نحو ١٠٢٤ هـ)، تحقيق ودراسة: د/ سُلَيمان حُسَين العُمَيرات، دار ابن حزم، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ . ٢٠١٨ م، ص: ٤٠٠ .

[٢٨] . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٦٤ .

وتظهر جماليات المعاني المدحية والتعبيرية لردّ العجز على الصدر في كلمة (طيب) المُثَقَّلة في طرفي البيت؛ ففي صدر البيت جعل خلق الممدوح بصفة معنوية (قلبية) بقوله أول البيت (يا طيِّبها معنًى)، وفي عجز البيت وسمه بشيء حسي مسموع (جمال حديثه وكلامه) الذي يشنف الآذان لمن يسمعه؛ فقلب الممدوح وكلامه طيبان.

إضافة إلى أن جذر كلمة **(ط / ي / ب)** تدل مادتها على السلامة والأمان النفسي وحسن المعاملة وسماحة الصدر وسعته؛ فالأمير لا يتعامل مع رعيته بغلظة أو شدة، كما أنه لين الكلام معهم. وفي آخر حرف من الكلمة المصدرة حرف(الباء) الذي يستسم بالشدة والجهر؛ يؤكد الشاعر أن طيبة قلب ممدوحه ولين كلامه ليس دليلًا على ضعفه، بل هما موطن قوة؛ فالضعيف هو الذي يتشدق ويهرع ويفزع، خلافًا لمن طاب قلبه لرعيته ولم يتهكم عليهم أو يستهزئ في حديثه مهم؛ فيحل مشكلاتهم ويسمع سؤالاتهم وتساؤلاتهم دون ضجر أو مللك أو كبر؛ فهو طيب معنًى وحِسًّا.

٢ ـ مجيء كلمتي المديح نهاية الصدر والعجز، كقوله في مدح أبي جعفر بن سعيد المغربي:

ـــــــــــ ( )	ـــــــــــ( )
ركبْتُ إليك النهرَ يا بحرُ فالقنا	**بمـــا يتلقـــى جـــودُه كـــلَّ قـــادمِ**
بفـيضٍ ولكـن مـن مـدامٍ وهـزةٍ	**ولكـــنْ إلـــى بـــذلِ النـــدى والمكـــارمِ**
وكنـا نسـمَّي قبـلَ كونِـك حاتمًـا	**ومُـذْ لُحْـتَ فينـا لـمْ نُعِـدْ ذِكْـرَ حـاتمِ"[٢٩]**

في هذه الأبيات يبدأ ابن سيد اللص بمدح (أبي جعفر بن سعيد المغربي)، فيرد العجز على الصدور بين لفظتي(حاتمًا، حاتم)؛ وقد قالها أثناء ركوبه زورقًا، فمدح أبا جعفر بأنه (بحر) لسعة كرم أبي سعيد، وهنا حسن مجاورة (النهر، البحر) فيه حسن مناسبة وبراعة استهلال؛ فالمقطوعة قيلت أثنار ركوب النهر، وقد أكد هذا في أول بيت من مطلع المقطوعة، إضافة إلى أن الشاعر تعب في ركوبه النهر، فالقنا التي تتسم بالضيق مما جعل زورقه يضطرب كالسكران(مدام،

[٢٩] . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٩٨.

هزة)، ولكن كل هذا هان على الشاعر؛ فهو قادم إلى صديق وفي كريم ندي، وقد أكد هذا الكرم والبذل والوفاء برد عجز البيت الثالث للمقطوعة على صدره، بكلمة (حاتم) فهي حلقة الوصل بين طرفي البيت؛ ويدلل لها البيت الذي قبله الذي يصف فيه الشاعر كرم ممدوحه وعطائه ووفائه، فكلمة (حاتم) التي صارت مثلًا يضرب في الكرم بجود(حاتم الطائي)، كما أن كلمة (حاتم) تنتهي بحرف (الميم) الذي يتصف بصفة الغنة التي تجيء في مواضع الضعف والحاجة والاستعطاف، وبهذا تحاكي تلك (الميم) حالة الشاعر في موقفه المدحي الاستعطافي؛ فكأن الشاعر بتعبيرات كلامه يطلب استعطافًا بنغمات صوت منخفض، يستعطف بمدحه ويستلطف أبا جعفر المغربي لينال مودته وعفوه وكرمه. إضافة إلى أن تكرار حرف (الحاء) المهموس(الضعيف) ثلاث مرات في البيت يؤكد حالة الشاعر فهو في حالة ضعف واستكانة، يحتاج عطف ممدوحه وقربه وقربته منه.

٣ . مجيء المديح في حشو الصدر قرب نهاية الشطر الأول، وذلك من قول الشاعر:

( ) ——— ( ) ———

ولعلَّـه قـدْ كـان يُعتـق رقَّـه ملِـــكٌ إذا مَلَـــكَ البريَّـــةَ يُعتِـــقُ"[٣٠]

في هذا البيت يمدح الشاعر أميره/ خليفته بسعة عفوه وسماحته، معرضًا بغيره؛ فغير الممدوح إذا أعتق أعتق فردًا واحدًا، كان عبدًا له، وبالتالي لا تعد هذه محمدة أو سماحة؛ فقد استعمل العبد في خدمة وقضاء حاجاته، أما الممدوح فهو يعتق بلا مقابل، ليس فردًا واحدًا، أو عبدًا خدمه، وإنما يعتق البرية كلها؛ مما يؤكد سماحته وكرم عفوه، هذا إلى جانب أن الكلمة (يعتق) فعل يدل على أن الممدوح لم يعتق مرة واحدة مكتفيًا بها، وإنما في كل زمان ومكان، فصيغة (المضارعة) تدل على الاستمرار في فعل (العِتْق) على مر الزمان، فلا وقت لنهايته أو موعد.

ويؤكد صفةَ العفو للممدوح حرفا (القاف، التاء) في الكلمة المصدرة؛ فحرف القاف والتاء مجهوران شديدان، يوحيان بالقوة والشجاعة؛ فالممدوح يعتق ويعفو دون إقتار في ذلك، ولا يخشى إقلالًا، وغير الممدوح قد يعفو لكن بقدر محدد؛ ومعلوم أن العتق في أصله يكلف المعتِق أموالًا يدفعها مقابل تحرير العبيد، فالممدوح لا يخاف إقلالًا، وفي هذا دلالة على أن الممدوح بلغت سماحة عفوه حدودًا لا مثيل له، وهذه مبالغة تأكيدية لعفو الممدوح ومنزلته في السخاء والكرم والعفو والسماحة.

[٣٠] . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٨٠.

المبحث الثالث . الطباق وخصال الممدوح بين الحقيقة والمبالغة:

١ . بيان خصال الممدوح التي تكشف عن الجمال والبهاء، فيقول في أميره:

الشمسُ تحجبُ في الطلوعِ وبعده وإذ تطلـــع نورهـــا لـــم تحجـــبِ
هــذي الخلافــةُ لا خلافــةَ بعــدها **جـاءتْ علـى الهَـدْيِ القـويمِ الأوجـبِ"**[٣١]

في هذين البيتين طباق بين (**تحجب، لم تحجب**)، وفي البيت الثاني طباق أيضًا بين (خلافة، لا خلافة)، وفي هذا تأكيد أن (حجب) مع (خلافة) لم تحجب الخلافة؛ فحامل لوائها وجمال طلعتها هو الأمير أبو يعقوب، وفي هذا تأكيد على رسوخ قدم الأمير وحنكته ومكنته في إدارة بلاده.

وطالما أنّ تلك الخلافة صارت حاجبًا للشمس باتسع ملك الخليفة؛ فالخلافة شملت بقاع الأرض نفوذًا وظهورًا وحكمًا، وكأن تلك الخلافة شمس بسطت نفوذها وسلطتها على وجه البسيطة كلها، وفي كون المقابلة الموضوعية بين (الشمس، الخلافة) بيان لمعنى البيت الثاني الذي أكد الشاعر فيها أن الخلافة تجمعت في شخص ممدوحه، فلا نظير لخلافته ولا مثيل، مثلما تكون الشمس للخليقة، فلا شمس إلا شمس واحدة يستهدي الناس بنورها وينتفعون بحرها، فكذلك الممدوح هو وسيلة للرعية، إليه يرفعون حاجاتهم ومشكلاتهم، فوجْهُ التماثل بين الخلافة والشمس يؤولان إلى الممدوح، مع ما بينهما من فارق!

٢ . جمالية المديح المكاني لسعة الملك وثنائية الطباق:

غُـرَّ الشَّـقيُّ بنـأيِكم عـن أرضِـه جهْـــلًا وظـــنَّ بأنَّـــه لا يُلْحَـــقُ
أَوَ ما رأى شمسَ الضُّحى في جوِّها والمغربُ الأقصى لهـا والمشـرُقُ"[٣٢]

في هذين البيتين يمدح الخليفة في صورة طباق مدحي ليبين سعة ملك ممدوحه؛ فليس معنى أن الجاهل بسعة ملك الممدوح دليل على انحصار سلطته، ولكنه جهل وعدم معرفة بنفوذ الممدوح، ولكي يبين لمن يجهل ذلك، أتى بالطباق بين طرفي الأرض، وكأن الممدوح قد ملك الأرض كلها من شرقها إلى غربها، وذلك من قوله (المغرب، المشرق) فكأن الممدوح صار يحكم الأرض كلها من شرقها إلى غربها.

---

[٣١] . المرجع السابق:٦٣.

[٣٢] . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٨٠.

٣ . جماليات الطباق المدحي واستعطاف المبايعِين لأخلاق الممدوح:

يمدح ابن اللص الإشبيلي أبا جعفر المغربيّ، طالبًا العفو والصفح مما بدر منه تُجاهه، فيقول ابن اللصّ:

فإن كنتُ ذا ذنبٍ فقد جئتُ تائبًا ومثلُــك غفَّــارٌ ومِثلُــك قابــلُ"[٣٣]

في هذا البيت يتقرب ابن اللص بمدحه عن طريق التودد والاستعطاف إلى ممدوحه بتوظيف التناص القرآني وسيلة لهدفه؛ فيتخذ من الطباق وسيلة للعفو والتقرب بمدح الأمير بسمة(العفو)، بقوله (ذنب، غفَّار) ليكون وسيلته إلى كسب قلب ممدوحه والتقرب إليه، وهذه فرصة سانحة لكل من يريد التقرب من الأمير أو الملك، فساعة تقلد المناصب والتهنئة بها أجل لحظة يتقرب الناس فيها إلى أصحاب المناصب لتظل ذكراهم عالقة في ذهن صاحب المنصب، وبهذا اتخذ الشاعر من الطباق وسيلة للتقرب بالعفو، والملاحظ أنه اتخذ لفظين وردا في كتاب الله (ذنب، غفار) وهذان اللفظان لا يكونان إلا مع رب العالمين . سبحانه وتعالى . ليكون بذلك(تناصًا إسلاميًّا) مع (القرآن الكريم)مع قوله تَعَالَىٰ:﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾"[٣٤]، ليظهر الشاعر بتلك المبالغة سعة صدر ممدوحه ويأسر قلبه بالعفو والمسامحة ويقربه إليه. ولعل توظيف الشاعر لهذين المفردتين المتضادتين يدلان على جرم الشاعر في حق ممدوحه؛ فلولا ذلك ما بالغ الشاعر في مدحه لطلب العفو والغفران!

ولهذا، مدح ابن اللص ممدوحه مبينًا شيم أخلاقه وبيان أصله ومكانة أجداده ومعدنهم، بقوله:

إذا نحنُ أذنبْنا رجَوْنا ثوابَكم ولــــمْ نقتنـــعْ بـــالعفوِ دون المكـــارمِ
وإنَّك فرعٌ من أصولٍ كريمةٍ ولا تَلِـــدُ الأزهـــارُ غيـــرَ الكمـــائمِ"[٣٥]

فجعل من نفسه فرعًا ومن ممدوحه أصلًا، وكأن الممدوح أصل لكل مكرمة وإليه كل معدن ومرجع!

[٣٣] . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٨٤.
[٣٤] . سورة غافر: ٣.
[٣٥] . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٩٧.

المبحث الرابع ـ الجمال الإيقاعي للمديح التجنيسي بنوعيه(البلاغي، اللغوي):

لقد درس الجناس في بابين من أبواب علوم العربية؛ فقد درسه الصرفيون تحت مسمى(الجناس الاشتقاقي)، ودرسه البلاغيون تحت مسمى(الجناس البلاغي/ التام، الناقص)، ومن ثم، فالجناس ينقسم إلى نوعين، هما:

أ ـ الجناس الموسيقي البلاغي:

معلوم أن الجناس في علم البديع ينقسم إلى قسمين: (الجناس التام والناقص بأقسامهما وتفصيلاتهما)، وتكمن أهمية إيراده في كون" العّلةَ هي حُسْن الإفادة"[٣٧]، فإفادة الجناس البلاغي توضح التفاضل بين اللفظين المتجانسين ببيان إيقاعهما الموسيقي ووقعه على الأذن سماعًا وعلى الألفاظ جناسًا، ومن أهم النماذج التي جانس فيها ابن اللص الإشبيلي بينها وبين بعضها في المديح، ما قاله:

نداك الْغَيْث إن مَحْل توالى وَأَنت اللَّيْثُ إن شهدُوا القتالا

غصبتَ اللَّيْثَ شدَّةَ ساعديه نعم وسلبَتْ عَيْنَيْهِ الغزالا"[٣٦]

لقد جانس الشاعر بين صفتين من صفات ممدوحه؛ فصفة(الجود) صفة خلقية تتعلق بطيب المنبت والأصل في العطاء والبذل للرعية، والصفة الأخرى في الشطر الثاني تتعلق بصفة جسمانية تعبر عن القوة في سياسة أمور الحرب ومواجهة الجيوش، وهي صفة(القوة) ليصبح الجناس الناقص بين هاتين الصفتين من كلمتي(غيث، ليث) معادل موضوعي معنوي جامعًا لأهم الصفات الخلقية والجسدية(الجود، القوة)؛ كلاهما في ثوب مجازي مرة في ثوب استعاري وأخرى بتشبيه بليغ، مبالغة في صفات الممدوح؛ فالصفتان فيهما تباين دلالي من ناحية اللفظ المجازي؛ ذلك التباين يعد إشارة خفية من إشارات التجنيس الدلالية؛ فالجناس " يُوَجِّه إلى مضمون دلالي جديد، فالتلاؤم في الإيقاع بين الكلمتين المتجانستين، قد يؤدي إلى تجانس في الإشارة كذلك، فينبغي أن تدرس النظائر المتجانسة على هذا الأساس" [٣٨]؛ **هذا التباين يتضح من خلال الصفتين؛** فصفة (الجود) جعلها تتعلق بما ينزل من السماء(الغيث)، وصفة القوة جعلها تتعلق بما يكون على

---

٣٦ . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٩١.

٣٧ . أسرار البلاغة: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني(قاهرة)، دار (المدني (جدة) ط أولى، ١٤١٢م، ١٩٩١م: ١٧.

٣٨ . منازل الرؤية "منهج تكاملي في قراءة النص" : د/ سمير شريف استيتة، دار وائل للنشر – عمان . الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص: ٧٣ .

الأرض(الليث)، ولذلك يكون الممدوح قد جمع بين صفات ناردة تتعلق بأمور سماوية وأخرى أرضية، كناية ومبالغة وإطراء للمدوح.

ب . الجناس اللغوي الاشتقاقي:

إن هذا النوع الاشتقاقي يتعلق بجذر الكلمة، وتوقف الباحث معه لما له من قيمة إيحائية بارتباط جذور الكلمات ببعضها وتقاربها، مما يبين جماليات التعبير الدلالي؛ وقد جانس ابن اللص بين ألفاظ المديح جناسًا لغويًّا اشتقاقيًّا للجذر اللغوي **(م/ث/ل)**، كما في مدح أبي بكر بن مزدلي، فيقول فيه:

نــوالٌ طبَّــقَ الآفــاقَ حتــى جرى مَثَلًا بها وغَدا مِثالًا"[٣٩]

يظهر الجناس الاشتقاقي في هذا البيت؛ فالجناس الاشتقاقي هو ما يتحد فيه اللفظان في جذر لغوي واحد؛ ففي البيت، جانس الشاعر بين كلمتي (مَثَلًا، ومِثالًا) وذلك لما كثرت عطاءت الممدوح وفاضت فكان مثالًا في الكرم والعطاء وذاع صيته بذلك، صار يضرب به المثل بين الناس في جوده؛ فالممدوح يداوم طيلة فترة حكمه على الإكرام والأعطيات فتداولت سيرته الطيبة لكرمه وكأنه إنسان يجري، دلالة على ذيوع كرمه وانتشاره بين رعيته، ولما كان كذلك، رفع الشاعر منزلة ممدوحه، فجعل من سمات كرمه مثالًا يضرب في الإكرام، ليس في فترة حكمه فحسب، وإنما في كل زمان ومكان؛ فالمثال سائر في كل واد وناد، في أي زمان ومكان؛ وهذه طبيعة الأمثال؛ فهي تتخذ من الذيوع والانتشار بروايتها وتداولها بخلاف (المِثال) فقد يكون المرء مثالا لصفة ما في مكانه وزمانه فحسب، ومن هذا يتضح أن الشاعر أعلى مكانة ممدوحه وجعل سيرته وكأنها مثل سائر عبر الأمكنة والأزمنة.

ومن أمثلة الجناس اللغوي الاشتقاقي أيضًا، ما قاله ابن اللص لبيان أصل الممدوح؛ فمعلوم أن بيان أصل الممدوح وفصله في النسب هو أساس المدح كله؛ فلولا بيان النسل والنسب لما كانت قيمة للمدح غالبًا، ومن ثم، فإن الشاعر يمدح أصل الممدوح، ببيان أصلهم، ليتخذ الجناس الاشتاقي من ألفاظ السعادة من خلال كلمة (السعد) مع نسب الممدوح(سعيد) وبيان خصال العطاء والجود، فيقول:

بآل سعيد يفخر السعد والعلا فأيديهم تلغي أيادي الغمائم"[٤٠]

لقد اتخذ الشاعر في هذين البيتين مصدر مدحه (أصل نسب الممدوح) مبرزًا مكانته وأصله بالجناس الاشتقاقي؛ فكلمة (سعيد، سعد) وكأنّ السعد الذي هو أصل الفرحة والبهجة قد

[٣٩] . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٩١.

[٤٠] . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: ٩٨.

صار سمة لازمة لآل سعيد أبد الدهر، لدرجة أنهم هم من يمنحون (السعد) قيمته، وبهذا يطرأ إلى ذهن المتلقي أن الشاعر قد بالغ في مدحه، إلا أن الشاعر قد وظف تلك المبالغة ليظهر قيمة التجانس للجذر اللغوي (س/ ع/ د) لدلالة كلمتي (سعيد، سعد) ولولا ذلك ما كانت قيمة دلالية لمدحه لآل سعيد، وكأن السعد هو الذي استمد جماله من آل سعيد! ولذلك أتى بما يثبت سعدهم وسعادتهم في أصلهم وأثر ذلك على الرعية؛ بصورة مجازية لعطائهم؛ فعطائهم عانق السماء وفاق سحابها كرمًا وعطاء للرعية.

النتائج:

وفي نهاية البحث، توصل الباحث إلى نتائج عدة، منها ما يلي:

١- ولد الشاعر أحمد بن علي بن محمد بن عبد الملك بن سليمان بن سيد الإشبيلي سنة اثنتين أو ثلاث وخمسمائة، لقب بـ (ابن اللص)؛ قيل لسببين؛ فمن النقاد من نظر إلى سماته الشخصية؛ فقيل لدياثته وسكونه، وتردده خفية في جميع شؤونه، ومن النقاد من نظر إلى إبداعه الشعري فقال سبب تلقيبه بهذا هو كثرة سرقته لأشعار غيره، والثاني هو الأقرب.

٢- لقد تبحر ابن اللص في علوم العربية على اختلاف مجالاتها؛ فقد كان مقرئا محدثا متحققا بعلوم اللسان نحوا ولغة وأدبا وتاريخًا، تخرج على يد علماء أكابر، في اللغة والأدب والقراءات كأبي بحر الأسدي والشلوبين، كما كان شاعرا شاعرًا مفلقًا، كان من أهل البلاغة والشعر.

٣- خلّف ابن اللص الإشبيلي من يحمل العلم عنه؛ فقد أقرأ اللغة والعربية والأدب، ومن هؤلاء التلاميذ الذين أخذوا عن ابن اللص مفرج ابن خلف الأنصاري الإشبيلي، وكذلك عيسى بن محمد بن شعيب وغيرهما.

٤- لقد أكد الشاعر تأييد الله لممدوحه، من خلال جمالية التصريع في مطلع القصائد، ومن ذلك ما تصريع صدر بيت المطلع وعجزه بكلمتي (صوب، مترقب) بحرف الباء الذي يتصف بالشدة والقوة لشخصية ممدوحه؛ هذا إلى جانب ما يؤكده من إيمان بالقضاء والقدر دون تدخل للإنسان بفهم أو تدخل أو إرادة. وفي هذا بيان معية الله للأمير، من انتصار وقوة بأس وحسن توفيق.

٥- صرع الشاعر في غير المطالع أيضًا؛ فالتصريع داخل القصيدة وسيلة لدفع الملل واليأس عن المتلقي ليزيل عنه الملل والرتابة. وقد استخدمه الشاعر ليبين به صفة الجود والكرم والعطاء لممدوحه بالتصريع بكلمتي (نوالا، السُّؤالا) التي تنتهي بحرف (اللام) الرخو الذي يدل على الامتداد والسعة، وكأنَّ عطاء الأمير/ الملك مسمتر لا ينقطع عن السائلين، فلم تكن مرة أو مرتين، وإنما مرات مستمرة، كأنَّها أيام أو شهور.

٦- تحققت جماليات المعاني المدحية اللفظية والتعبيرية لردّ العجز على الصدر، كما في كلمة (طيب) المُثَّلة في طرفي البيت؛ ففي صدر البيت جعل خلق الممدوح بصفة معنوية (قلبية)

بقوله في مطلع البيت: (يا طيِّبها معنًى)، ووسمه بشيء حسي مسموع في عجز البيت:(جمال حديثه وكلامه) الذي يشنف الآذان لمن يسمعه؛ فقلب الممدوح وكلامه طيبان.

٧- وظف الشاعر رد العجز على الصدور في المديح ليأكد جود الممدوح، ثم يتوصل من خلال مدحه إلى طلب العطاء؛ فقد تكررت كلمة حاتم نهاية الصدر والعجز؛ فهي حلقة الوصل بين طرفي بيت الشعر المدحي؛ فكلمة (حاتم) التي صارت مثلًا يضرب في الكرم بجود(حاتم الطائي)، كما أن كلمة (حاتم) تنتهي بحرف (الميم) الذي يتصف بصفة الغنة التي تجيء في مواضع الضعف والحاجة والاستعطاف، فكأن الشاعر بتعبيرات كلامه يطلب استعطافًا بنغمات صوت منخفض، يستعطف بمدحه ويستلطف الممدوح لينال مودته وعفوه وكرمه.

٨- لقد عبر الشاعر بمديحه بالمقابلة الموضوعية بين (الشمس، الخلافة) ليؤكد أن الخلافة تجمعت في شخص ممدوحه، فلا نظير لخلافته ولا مثيل، مثلما تكون الشمس للخليقة، فلا شمس إلا شمس واحدة يستهدي الناس بنورها وينتفعون بحرها، فكذلك الممدوح هو وسيلة للرعية، إليه يرفعون حاجاتهم ومشكلاتهم.

٩- وظف ابن اللص التناص القرآني ليطلب العفو والقرب من ممدوحه في صورة طباق، من خلال لفظتي(ذا ذنب/ تائبًا، غفار) فهما لا يكونان على الحقيقة إلا مع رب العزة، لكن الشاعر وظف تلك اللفظتين لكسب قلب الممدوح عن طريق التودد والاستعطاف إلى ممدوحه قلب ممدوحه والتقرب إليه.

١٠- لقد رسم الجناس البلاغي جمالًا دلاليًا في شعر المديح عند الشاعر ببيان التباين الجهوي بين صفتي (الجود، القوة) من خلال مجانسة (ليث، غيث)؛ فـ(صفة (الجود) جعلها الشاعر تتعلق بما ينزل من السماء(الغيث)، وصفة القوة جعلها تتعلق بما يكون على الأرض(الليث)، ولذلك يكون الممدوح قد جمع بين صفات ناردة تتعلق بأمور سماوية وأخرى أرضية، كناية ومبالغة وإطراء للمدوح.

١١- يعد الجناس اللغوي الاشتقاقي فن لفظي له دوره في تأكيد الدلالة المعنوية لتلك الألفاظ بتكرار الجذر اللغوي للفظتين، وقد جانس الشاعر في شعره المدحي بين كلمتي (مَثَلًا، ومِثالًا) ليعبر الشاعر عن كثرة عطاءت الممدوح وفاضت؛ فكان مثالًا في الكرم والعطاء وذاع صيته بذلك، صار يضرب به المثل بين الناس في جوده؛ فالممدوح يداوم طيلة فترة حكمه على الإكرام والأعطيات فتداولت سيرته الطيبة لكرمه وكأنه إنسان يجري، دلالة على ذيوع كرمه وانتشاره بين رعيته.

١٢ . لقد اتخذ الشاعر في هذين البيتين مصدر مدحه (أصل نسب الممدوح) مبرزًا مكانته وأصله بالجناس الاشتقاقي؛ فكلمة (سعيد، سعد) وكأنّ السعد الذي هو أصل الفرحة والبهجة قد صار سمة لازمة لآل سعيد أبد الدهر، لدرجة أنهم هم من يمنحون (السعد) قيمته؛ فبالغ في ذلك، حتى إن السعد هو الذي استمد جماله من آل سعيد!

قائمة المصادر والمراجع:

. مدونة الدراسة: . شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: د. محمود شاكر الساجت، دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.

المصادر:

. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، حققه / محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ /١٩٦٥م.

. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: لأبي الإصبع المصري: تحقيق: د/ حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ . ١٩٦٣م.

. التكملة لكتاب الصلة: محمد بن عبد الله ابن الأبار، القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨هـ)، حققه/ عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة . لبنان: ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.

. دُرر الفَرائدِ المُسْتَحْسَنَة في شرح مَنْظومة ابن الشِّحْنة(في علوم المعاني والبيان والبديع): ابن عبد الحقّ العُمَرِيّ الطَّرابلسِيّ (ت: نحو ١٠٢٤ هـ)، تحقيق ودراسة: د/ سليمان حسين العُمَيرات، دار ابن حزم، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ . ٢٠١٨ م.

. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله محمد ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت: ٧٠٣ هـ) حققة وعلق عليه: د/ إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي . تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

. الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) حققه: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية . بيروت، ١٤١٩ هـ.

. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة الحسيني العلويّ (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية . بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ

. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي(ت: ٤٦٣ هـ)
حققه / محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م.

. المطرب من أشعار أهل المغرب: أبو الخطاب عمر بن حسن الشهير بابن دحية الكلبي (ت: ٦٣٣هـ) بتحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، الدكتور حامد عبد المجيد، الدكتور أحمد أحمد بدوي،

راجعه د/ طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ١٣٧٤ هـ . ١٩٥٥ م٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢ .

. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، حققه / أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث . بيروت، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.

المراجع:

. شعر ابن سيد اللص الإشبيلي: د. محمود شاكر الساجت، دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.

. منازل الرؤية "منهج تكاملي في قراءة النص" : د/ سمير شريف استيتة، دار وائل للنشر – عمان . الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م